

الفصل الرابع: الفخ الأسود أين أنت من روح الابتكار؟



تنعكس روح الابتكار عند رجل الأعمال في الجوانب الثلاثة الآتية:

أولاً: رجل الأعمال يمكنه اكتشاف الفرص السانحة في السوق، التي لا يستطيع اكتشافها الشخص العادي؛ ثانياً: رجل الأعمال يستطيع توظيف الموارد الإستراتيجية التي لا يستطيع الشخص العادي المزج بينها؛ ثالثاً: رجل الأعمال يستطيع البحث عن حلول يستحيل للشخص العادي تصورها.

وعندما ندرس نموذج وانغ تشوان فو، نجده أول من اكتشف "ثغرة السوق" في مجال البطاريات، فاغتنم الفرصة التي عجز الجميع عن اكتشافها؛ ليحقق ففزة في مجاله. وفي الوقت الذي اكتشفت فيه العديد من المؤسسات هذه الفرصة واندفعت أمواجاً تدخل هذا المجال، عمل وانغ تشوان فو سريعاً على دمج الموارد العالمية، فجمع عناصر التكنولوجيا والكوادر والسوق، وخلق نموذج تصنيع جديد لم يجرؤ أحد على تجربته،

ثم تجاوز مجال صناعة البطاريات الذي احتدمت فيه المنافسة في "المحيط الأحمر"، وحقق التحول إلى سوق أكثر نجاحًا عندما انتقل إلى سوق صناعة السيارات التقليدية، ثم سوق السيارات العاملة بالطاقة المتجددة، فانطلق يبحر في "المحيط الأزرق". ومن هنا تتضح لنا روح الابتكار عند رجل الأعمال.

يقول عالم الاقتصاد الشهير جوزيف شومبيتر: إن الابتكار هو عبارة عن فوضى خلاقية، وروح الابتكار هي الروح الحقيقية لأي مؤسسة. قد تبدو الفوضى سهلة للغاية، أما الفوضى الخلاقية فبالنسبة لرجل الأعمال فهي أمر في غاية الصعوبة. ولكن ما أن تجد المؤسسة طريقها إلى الابتكار، تستطيع أن تتبوء الصدارة. في الحقيقة احترف وانغ تشوان فو وسائل عديدة للابتكار، من خلال استيعابه لمفهوم الفوضى الخلاقية. ويمكننا تلخيصها فيما يلي:

أولاً: كن ناعماً: أي اخلق ثقافة مميزة لمؤسستك. أبدل وانغ تشوان فو بـ "الثقافة الهرمية" التقليدية في المؤسسة ثقافة أخرى تشبه ثقافة "الأسرة". في الحقيقة استطاع وانغ تشوان فو بهذه الثقافة - أي "ثقافة الأسرة" اللينة - أن يحفز موظفيه على الرفع من فاعلية الإنتاج. في بي واي دي - بجانب مصانع السيارات - بنى وانغ تشوان قرية واي دي، ومدينة واي

دي السكنية، ومدرسة واي دي. كما نلاحظ أن وانغ تشوان فو يتصرف كباقي الموظفين، فيرتدي زي العمل نفسه، ويمرر بطاقة الحضور في الوقت المحدد كل يوم مثل باقي الموظفين، وفوق هذا كله عادةً ما يكون آخر من يترك العمل. ولم ينسَ وانغ تشوان فو أن يفِي بعهدته لكبار مديري الشركة، فعندما طُرحت أسهم بي واي دي، كافأهم بحصص من الأسهم كحافز لهم. بالإضافة إلى ذلك، بنى وانغ تشوان فو حضانة واي دي، ومدرسة واي دي الابتدائية، وبالتعاون مع مدرسة شنجن الإعدادية، بنى كذلك مدرسة واي دي الإعدادية. كما يشجّع وانغ تشوان فو موظفيه على الاشتراك في بعض النشاطات المختلفة؛ كالحلقات الأدبية والفنية، وحلقات للرسم، وحلقات لتعلم اللغة الإنجليزية، فأصبح يتمتع موظفو الشركة بعدد من الأسر الصغيرة.

ثانياً: كن بعيد النظر: أي ركز على المستقبل. أدار وانغ تشوان فو الدفة في مؤسسته بكل حزم، واستطاع أن يقود بي واي دي بنجاح إلى عدد من مجالات العمل، التي طبقاً للمتعارف عليه في مجال الأعمال، ما كانت تستطيع أن تحقق النجاح أبداً. مما دفع محلي الاستثمارات المصرفية إلى أن يعيدوا النظر في أحكامهم؛ بسبب الإنجازات التي حققتها بي واي دي في صناعات مختلفة. في الحقيقة كان وانغ تشوان فو يتمتع ببعيد النظر في كل خطوة. قبل دخوله إلى مجال السيارات التقليدية، أيقن وانغ تشوان فو

بإمكانات الاستهلاك الضخمة في سوق السيارات الصينية، وافتقار السوق إلى السيارات التي تتميز بالكفاءة العالية مقابل السعر المناسب. وقبل دخوله إلى مجال السيارات العاملة بالطاقة المتجددة، كان على وعي شديد بالتوجهات العالمية لحماية البيئة وتقليل انبعاثات الكربون.

ثالثًا: كن ذكيًا: أي شقّ قنوات اتصال عميقة. في بعض الأحيان يكون من الضروري أن تصب تركيزك على تقديم الصيانة والخدمة لمنتجاتك، إلى جانب تحقيق الابتكار. أي إستراتيجية ما هي إلا حبر على ورق حتى تُوضع موضع التنفيذ. وأي تنفيذ من دون الوسائل والطرق المناسبة ما هو إلا مجازفات طائشة. فعلى المؤسسة أن تبني قاعدة قوية لجذب المستهلك، وإلا تضل طريقها وسط دروب إستراتيجية مختلفة. فالإستراتيجية المناسبة هي الجسر الذي يصلك بالمستهلك.

رابعًا: كن محددًا: أي ركز على منتج بعينه. إذا استعرضنا مشوار تطور وانغ تشوان فو، فسنجد أنه عمل على البحث في البطاريات بشكل أساسي؛ من بطاريات المحمول إلى بطاريات السيارات الكهربائية، ثم إلى بطاريات تخزين الطاقة. لم يتعد عن البطاريات أبدًا؛ مما سهّل عليه الإلمام العميق بها، حتى أصبحت بي واي دي الأولى عالميًا في بطاريات النيكل كادميوم، والنيكل هيدروجين والليثيوم. فاستحق وانغ تشوان فو لقب

"ملك البطاريات" عن جدارة. وفي ظل هذه الميزة، كانت بي واي دي تتمتع كذلك بتكنولوجيا البطاريات الحديدية المتقدمة، واستطاعت بي واي دي استخدام هذه البطاريات في السيارات الكهربائية، بالإضافة إلى توظيفها في مجالات أخرى.

خامساً: كن ليّناً: أي حقق الابتكار في التكلفة. من الصعب جداً أن ترفع الدخل، أما الإنفاق فهو في متناول يدك، فيمكنك التحكم فيه. يعتقد وانغ تشوان فو أن تقليل التكاليف في بعض المواضع المهمة أكثر فاعلية من الفصال على كل قرش مع طاقم العمل. فعلى سبيل المثال، كبار المديرين في بي واي دي - بما فيهم وانغ تشوان فو نفسه - حظهم كحظ الموظفين العاديين، فالجميع يستقل الدراجة الاقتصادية في رحلات العمل بلا استثناء. فإن أردنا تلخيص مبدأ وانغ تشوان فو للادخار في جملة واحدة، نقول: وفر المال الذي لا ضرورة لإنفاقه، وأنفق المال بوجود حين تجد ضرورة لذلك.

سادساً: كن سريعاً: أي سرعة التواصل داخل المؤسسة. السرعة هي مفتاح النجاح، فإن أردت السيطرة على السوق لابد وأن تستمر في تحقيق النمو السريع. في بي واي دي تستطيع أقسام الشركة تطوير عمل جديد بسهولة، فما عليها إلا أن تقدم دراسة جدوى أشبه بخطة العمل لوانغ

تشوان فو. وكما يقول وانغ تشوان فو: "فإن أقنعتني وجعلتني سعيداً، إذًا يمكنك القيام بها". نفهم من ذلك أن كفاءة التواصل تحدد سرعة التطوير في المؤسسة.

سابعاً: كن متطلعاً: أي التطلع إلى الربح المادي. يؤمن وانغ تشوان فو بأنه لن تتطور سيارات بي واي دي إلا إذا وفرت المناخ المناسب ليقوم كل موظف بدوره كاملاً. أثبتت سنوات من التجربة، أن عددًا كبيرًا من موظفي شركة بي واي دي - حوالي 50٪ - انضموا للعمل في الشركة من خلال منتديات التوظيف التي تقام في الجامعات. وعدد من المتميزين استطاعوا أن يحققوا طموحهم، ويصبحوا من أكثر مسؤولي الإدارات تميزًا حتى قبل بلوغ سن الثلاثين. بالإضافة إلى ذلك، يؤمن وانغ تشوان فو بأن كل المديرين في الشركة يحق لهم الحصول على الثروة وفرص للتطور.

ثامناً: كن مرناً: أي المرونة في الإدارة الداخلية للمؤسسة. يجب أن يكون المدير قدوة؛ لأن كل كلمة وتصرف منه يؤثر على المؤسسة بأكملها، فعليه أن يبدأ بنفسه أولاً ليكون قدوة لغيره. في بي واي دي، وانغ تشوان فو هو المسئول عن البحث والتطوير في المؤسسة، ويستهلك ذلك 30٪ من طاقته. كما يعمل وانغ تشوان فو في مكتبه بشنغهاي ما يزيد عن 10 ساعات يوميًا، وحتى أحيانًا يذهب للعمل مع المهندسين في الورش

لتفكيك السيارات حتى تتغذى يديه بالشحم الأسود. ففي ظل هذه القيادة المرنة - وبعد تعلّم التقنيات الأساسية لفك السيارات - تعلم موظفو بي واي دي مهارات اللعب في مجال السيارات، فكونوا خبرات النجاح، واستطاعوا منافسة التكنولوجيا الحالية.

تاسعاً: كن متخصصاً: فتكون قادراً على تقييم التكنولوجيا. إلى جانب نموذج لسيارة فيراري 1F، يمتلئ مكتب وانغ تشوان فو بأشكال وألوان من المجالات التقنية المتخصصة، سواء في مجال الميكانيكا أو الكهرباء أو التقنيات الكهربائية أو السيارات. وانغ تشوان فو مهندس مووس بالتكنولوجيا بمعنى الكلمة. لا يجيد لعب الجولف، ولكنه يحب لعب كرة القدم والتسابق بالسيارات مع مهندسي الشركة. وليس بالأمر المستغرب حينما نقول إن مسؤولي أكثر من 20 قسمًا في بي واي دي، تعرفهم من هيئتهم، فالجميع يرتدي سترات قطنية ومهووس بالتكنولوجيا.

كانت الطرق التسعة السابقة هي الطرق الأساسية التي حفزت وانغ تشوان فو على الابتكار، ودفعته إلى التحول من هذا الابتكار إلى تحقيق القفزة والنجاح لمؤسسته.

